أبرز مؤلفات الكتابة

تعزيز مهارات الفنون اللغوية•
نشر التوعية بالإعاقات•
حفز الحوار•

مصنع حلوى "سكول هاوس كاندي"

تأليف آن فينغر

مقتطف ومقتبس عن كتاب *Elegy for a Disease: A Personal and Cultural History of Polio* (New York: St. Martin's Press, 2006).

تقدمت في سن السادسة عشرة بطلب عمل لدى مصنع حلوى "سكول هاوس كاندي" في بوتاكت في ولاية رود أيلاند. وعلى الرغم من أني كنت أجني المال من رعاية الأطفال، إلا أني لم أتولى قط عملاً حقيقياً. وكنت أتقاضى فقط خمسين سنتاً في الساعة، لكن بما أن سوزان كانت تعمل في ترينيتي سكوير، فغالباً ما كنت أتولى رعاية أطفال الممثلين. ففي ليلة يوم الجمعة أو السبت، كانوا يخرجون بعد العرض ولا يعودون إلى منازلهم إلا في الساعة الثانية أو الثالثة صباحاً. وكان الأطفال ينامون نوماً عميقاً لمدة ساعات طويلة، فكنت أتقاضى المال بينما أقوم بواجبي المدرسي المنزلي – وفي بعض المناسبة- أو أقرأ الكتب أو أستمع إلى الموسيقى أو أشاهد التلفزيون أو أنام.

وكنت سأجني مالاً ثلاث مرات أكثر من خلال العمل في مصنع، لكن الأهم من ذلك هو أن عمل المصنع كان عملاً حقيقياً، أي من النوع الذي تعرف فيه ساعات عملك من أسبوع إلى آخر والمال الذي ستجنيه. وكان المطلوب تزويد رب عملك برقم ضمان اجتماعي. ويمكنك أن تقول لأصدقائك، "علي أن أذهب للعمل"، أو "أنتهي من العمل في الساعة السادسة."

وكان يبدو أن كل مراهق في منطقة بروفيدانس في الستينات قد عمل لدى مصنع حلوى "سكول هاوس كاندي"- حتى لو كان ذلك لمدة أسبوع أو أسبوعين. وبما أنه كانت هناك وظائف في المصنع تطلبت مهارات—مثل مزج المواد الكيميائية والسكريات والنشويات التي أضيفت إلى الحلوى، والحفاظ على كميات كافية من هذه المكونات—إلا أن الوظائف التي تولاها طلاب المدارس الثانوية كان يمكن تعلمها في غضون دقائق. وربما كلما كنت حديث العمل، كلما كان فعالاً أكثر—إذ لم تكن معنوياتك قد إنحطت بسبب الملل أو لم تكن قد اكتشفت كيف تضيع الوقت بينما تتظاهر بالعمل. وكان الأجر هو الحد الأدنى—١,٦٠$ في الساعة.

وكان مصنع حلوى "سكول هاوس كاندي" يقع في مبنى واسع ومربع من المباني العديدة المصنوعة من ألواح القرميد الموزعة على بروفيدانس وسنتر فولز وبوتاكت. وكان احمرار ألواح القرميد قد تلاشى بسبب طبقات السخام والأوساخ التي تراكمت عبر عشرات السنين. كما كانت نوافذه تبدو وكأنها لم يتم غسلها قط إلا بالمطر، وكانت مبقعة بالأوساخ البنية. أتخيل أن هذا

كان العمل هناك من طقوس العبور ومقدمة لعالم العمل. فإعتباراً من مصنع حلوى "سكول هاوس كاندي"، كان باستطاعة المرء الارتقاء ليصبح عامل خيوط أو جامع خيوط أو مشغل مقبس قدمي لدى إحدى مصانع المجوهرات. ووصف لي المشهد أصدقائي وأختي البكر. فنزولاً من حزام نقل يدور بدون توقف كان يتدفق نهر من نوع واحد من الحلوى، ربما مصاصات سكرية صفراء بطعم الحامض—مصاصات سكرية صفراء، مصاصات سكرية صفراء، مصاصات سكرية صفراء، مصاصات سكرية صفراء، مصاصات سكرية صفراء، مصاصات سكرية صفراء، مصاصات سكرية صفراء. فكان المرء يحدق بتلك المصاصات السكرية الصفراء ويعتقد أنه لن يشعر أبداً في حياته بالدوار الذي يشعر به لدى رؤية المصاصات السكرية الصفراء، ثم يشاهد استبدال المصاصات السكرية الصفراء بمصاصات سكرية حمراء، فيشعر بالراحة أولاً لرؤية شيء مختلف! إنما، بعد دقائق قليل من مشاهدة مصاصات سكرية حمراء، مصاصات سكرية حمراء، مصاصات سكرية حمراء، مصاصات سكرية حمراء، مصاصات سكرية حمراء، مصاصات سكرية حمراء، مصاصات سكرية حمراء تنزل من حزام النقل، يجد المرء نفسه يطوق لرؤية شيء آخر—مصاصة سكرية صفراء.

وفي بعض الأحيان، كانت تأتي على حزام النقل فراخ عيد الفصح المصنوعة من حلوى الخطمي البيضاء والمطلية باللون الأصفر، وكان يجب وضع ثلاثة منها على بطاقة بيضاء ثم إرسالها نزولاً على الحزام، حيث تضاف إليها نقاط سوداء تمثل عينيها. وفي مرحلة لاحقة من نزولها على الحزام، تغلف بالبلاستيك الذي يتم ختمه من جانبين ثم تطوف حتى نهاية الخط حيث توضع في علب توصع بدورها في علب كبيرة من الكارتون حيث تصبح جاهزة للشحن. وكان الخط يطوف في بعض الأحيان بمنتجات موسمية أخرى مثل أرانب عيد الفصح المصنوعة من حلوى الخطمي أو رؤوس بديلة مخيفة من الشكولولا، أو قصب الحلوى، أو الحلوى القاسية على شكل بابا نويل أو رنة أو نجم. وربما كانت الحلوى مليئة بالمواد الحافظة، أو ربما كان نقص أي مواد طبيعية يعني عدم إمكانية التلف. وفي أي حال، كان الوقت المستغرق بين صنع الحلوى والعيد الواجب فيه استهلاكها ستة أشهر بشكل عام.

وفي أحد أيام تموز/يوليو أو آب/أغسطس عندما كانت الحرارة خارجاً في الثلاثينات، وربما كانت الحرارة أعلى داخل مصنع حلوى "سكول هاوس كاندي"، عادت أختي ساندرا إلى المنزل من العمل هناك وهي في مزاج جمع بين الكآبة والغضب وتتحسر على المجموعة التي لا نهاية لها من فراخ عيد الفصح المصنوعة من حلوى الخطمي الصفراء والتي طافت على الحزام في ذلك اليوم والتي علقت رائحتها المثيرة للدوار على شعرها وجلدها. وكنت في حوض الاستحمام عندما وصلت إلى المنزل، فصرخت قائلةً لي، "أخرجي من حوض الاستحمام! أشعر أني حارة للغاية! دعيني أدخل الحمام!"

من كان يشتري هذه الحلويات الرخيصة الثمن؟ حتى عندما كنت طفلة وكان يمكن وصف ذوقي في الطعام بأنه لا يميز، كنت أكره هذا النوع من الحلوى المنتجة هناك. فميزاتها البارزة الوحيدة كانت حلاوتها، وكانت هذه كثيرة للغاية. فبعد لقمات قليلة منها، كانت حلاوتها المتخمة تجعل الحلق مؤلماً. أفترض أن الحلوى كان يشتريها الأشخاص الذين كانوا يملكون مالاً قليلاً إلى حد أنهم لا يستطيعون تحمل تكاليف أي شيء آخر، أو هؤلاء الذين كانوا يشعرون أنهم مرغمين

لقد تقدمت لطلب العمل لدى مصنع حلوى "سكول هاوس كاندي"، فاستكملت الطلب حسب الأصول. وعندما تم إرشادي إلى داخل المكتب للخضوع لمقابلة، كان الرجل وراء المكتب محرجاً بوضوح لوجودي. وعندما أحاول تذكر المشهد الآن، لا أستطيع أن أرى وجهه بل مجرد بذلة لامعة مصنوعة من الداكرون أو الأورلون، وقميص لا يتجعد ومصنوع من البوليبستر إتخذ لممعة مائلة إلى الرمادي، وربطة عنق رفيعة. ولف وكأنه متضايق بربطة العنق الرفيعة، فحركها ذهاباً وإياباً بين السبابة والاصبع الأوسط بينما كان يكافح لوضع جملة مفهومة. وقال: "حسناً، تعلمين". ثم إلتفت إلى السقف قائلاً: "ما لديك...ما لديك... تعلمين..." وتوقف على التحديق بالسقف ثم حدّق في مرحلة ما فوق رأسي. وتمكن أخيراً من القول: "ساق، ساق."

ثم قال كلمة "تأمين"، ثم قال من جديد "تأمين. الأمر هو أن" وأخيراً تمكن من التكلم قائلاً: "شركة التأمين تقلق من هذه الأمور. علي أن أتكلم معهم وأحصل على موافقتهم."

وأبلغني بأنه سيتعلم من شركة التأمين ثم يتصل بي. وأنا صدقت كلامه فعلاً.

لكنه طبعاً لم يتصل بي.

في أواسط الخمسينات، تقدم هيو غالاغر المعوق بسبب شلل الأطفال بطلب منعة رودس من أجل تحقيق حلم حياته بارتياد جامعة أوكسفورد. ولم يتم قبول أو رفض طلب غالاغر، إنما أعيد إليها بدون البت فيها. وعندما أسس سيسل رودس المنح، كان قد حدد وجود منحة لـ "سالمي العقل والجسم". ثم علم غالاغر لاحقاً أنه تم عقد إجتماع خاص لإتخاذ قرار حول التصرف بطلبه. وتمثل القرار بالتصورف وكأنه لم يتم استلام الطلب قط. ويشير غالاغر إلى ذلك "بنوع إنجليزي خاص من الرفض"، لكن ذلك كان بالنسبة لي الطريقة التي غالباً ما يحدث بها التمييز من حيث الإعاقة—أي بشكل غير مستقيم وبجو من الاحراج والنظرات المتجنية، وتشكل كلمة "آه" الحديث.

غالباً ما شهدت ما حصل مع الرجل لدى مصنع حلوى "سكول هاوس كاندي" والذي هجز عن وضع جملة بكاملها. ففي وجه الإعاقة، تصبح اللغة بنفسها كسحاء. فتتعثر على نفسها، وتتأتئ، وتصبح غير سلسة وغليظة ومنشلة. وقبل فترة قليلة، قالت لي صديقتي سوزان التي عادت للتو من زيارة والديها أن أمها سألت عني—على الرغم من أنها لم تذكر اسمي. فسألتها: "ماذا قالت؟" فأجابت سوزان: "كيف حال صديقتك التي تحمل اسم عائلة مضحكاً—هاند [يد]؟ تو [اصبح رجل]؟" ثم أضافت سوزان: "لا. هكذا وصفتك." فقلت "آه" بينما أتلفظ بالكلمة وأضحك: "كيف حال صديقتك الفاقدة القدرة؟" لا، ليس هذا. فسألت: "معوقة؟" "مشلولة؟" فتبين لي أن أم سوزان قالت، "كشف صديقتك التي—آه—آه؟"

عندما بدأت بكتابة القصص، جاء الحوار بسهولة إلى ذهني—أعتقد لأني كنت معتادة على الاصغاء لما كان يقوله الناس وراء كلماتهم. ولقد كان علي طوال حياتي أن أفهم كيف سعت الكلمات إلى إخفاء المعاني وكذلك الكشف عنها—بينما أظهرت حتمياً الشيء نفسه الذي اعتقد متكلمونها أنهم يخفونه. وكان علي التلفظ بقدرتي على سماع ما وراء الأكاذيب اللطيفة والتهربات لأرى عدم الارتياح الذي اعتقد الناس أنهم يبقونه سراً.

ولم أجادل الرجل في مصنع حلوى "سكول هاوس كاندي"، أو أي من الأشخاص الآخرين الذين لم يترددوا في رفض توظيفي بسبب إعاقتي.

———

بعد قضاء يوم وأنا أكتب عن مصنع حلوى "سكول هاوس كاندي"، إلتقيت بصديق لتناول العشاء. وسألني بيبر كيف كان يومي، فأخبرته أني أكتب عن العمل وعن عدم توظيفي لدى مصنع حلوى "سكول هاوس كاندي" وعن المصاصات الصفراء وعن فراخ عيد الفصح المصنوعة من حلوى الخطمي—فتذكرها وارتجف—والمصاصات الحمراء وحر الصيف في المصنع غير المجهز بمكيفات هواء.

فسألني ضاحكاً: "يا عزيزتي، هل تريدين *حقاً* العمل هناك؟"

طبعاً نعم أريد ذلك، ولم يتعلق الأمر فقط بأني بحاجة إلى المال، على الرغم من أني كنت بحادة إلى المال.

كانت مغادرة العمل لدى مصنع حلوى "سكول هاوس كاندي" تشبه قليلاً مغادرة صف الرياضة. كانت جميع الفتيات الأخريات يتشكين من صف الرياضة: البذلات—ملابس زرقاء مضحكة مع بنطلونات شبيهة بشيء ربما ارتدته امهاتنا في الثلاثينات؛ ومن الدشات حيث كان الماء دائماً بارداً للغاية؛ ومن عقلية عريف تدريب الجيش التي يتحلى بها معلم الرياضة.

كانت معلمة الرياضة تعلم مرة أسبوعياً صفاً باسم "الصحة والنظافة" كان علي أن أحضره. وعندما كانت الموضوع يتعلق بصحة الأسنان، كان عليها أن تتحدث طويلاً عما فعله طبيب الأسنان بأسنانها، فأخبرتنا بكل فخر أن حشوات أسنانها كانت مصنوعة من الذهب الصلب الذي يفوق الحشوة العادية المستعملة بشكل عام. ثم سارت ذهاباً وإياباً في الممرات بين المناضد بينما وضع أبهمها الأيمن في فمها المفتوح كي يتمكن كل واحد منها بدوره التحديق في فمها ورؤية أسنانها بنفسنا. وفي وقت آخر، أخبرتنا عن شحاذ مشلول في المكسيك كان قد طلب منها المال. وبدلاً من إعطائه النقود، أعطته محاضرة—كان من المستحيل تخيل أنها قد تكرمت بالتكلم في لغة غير اللغة الإنجليزية الخاصة بالله—عن الكسل والتمارض، وفي نهاية محاضرتها، وقف وسار! آه، لم يكن يعاني من أي مكروه—ما يحتاج إليه هؤلاء الأشخاص هو مجرد عتاب جيد وقوي ليلملموا أطرافهم.

هل كنت أريد بذلة رياضة عفنة؟ هل كنت أريد معلمة رياضة تصرخ في وجهي؟ هل كنت أريد العمل لدى مصنع حلوى "سكول هاوس كاندي" والعودة إلى منزلي في نهاية اليوم وأنا متعرقة وتعبة و أشعر بالغثيان؟ نعم أردت تلك الفرصة لأشتكي وأتحسر وأحقد مثل الآخرين.

ولم أكن أطلب طبعاً ما نشير إليه اليوم بـ"تسهيلات معقولة" لدى مصنع حلوى "سكول هاوس كاندي"—مثل عمل يمكن القيام به قعوداً أو حتى مقعد صغير أجلس عليه خلال العمل في خط الانتاج. فهذا المفهوم كان غير وارد في تلك الأيام. وتقدمت بطلب العمل بينما كنت أوقع كاملاً أن أقف طوال كامل دوامي. هل كنت سأشعر بالألم في نهائية دوامي؟ طبعاً.

لم أكن أعلم أن أي شخص آخر قد شهد الرفض والتمييز اللذين شهدتهما. وكنت قد سمعت براندولف بورن، وهو من معارضي الحرب العالمية الأولى والذي تم إعتبار كتابه *Youth and Life* البيان الأصلي لثقافة الشباب المضادة. كما كنت قد قرأت الثلاثية الطويلة لجون دوس باسو، *USA*، حيث تم وصف بورن بـ" شبح صغير ملفوف غير خائف في عباءة سوداء يقفز على طول الشوارع الوسخة المصنوعة من القرميد والحجارة البنية القديمة التي لا تزال في وسط مديرة نيويورك، وهو يصرخ

وفي مقالته المؤثرة، "The Handicapped" المنشورة في *Atlantic Monthly* عام ١٩١١، كتب بورن عن بحثه عن عمل:

> حاصرت خلال نحو سنتين مكتباً بعد الآخر، بحثاً عن منصب دائم ومحاولاً كل شيء اعتقد أن لدي أقل فرصة فيه للنجاح في نيويورك، بينما كنت أجني مال غير ثابت من دروس قليلة في الموسيقى. وتراوحت النظر إلي من "لا يمكنك أن تتوقع منا إنشاء مكان لك" إلى "كيف يخطر في بالك أن عليها أن نجد أي منفعة لرجل مثلك؟"

وبما أن ظروف عائلته كانت ضيقة، كانت حاجة بورن للعمل ملحة:

> هناك تعذيب عقلي حاد يأتي مع تجربة- الحاجة الملحة أو الفشل المكرر لا بل الفشل المكرر حتى في الحصول على فرصة للفشل، وإدراك أن هؤلاء في المنول لا يمكنهم تحمل تكاليف عدم عملك، والخوف المتزايد من مقابلة الأشخاص—كلها أشياء لا يمكن أن يدركها أبداً هؤلاء الذين لم يمروا بها.

ولم أعلم أن راندولف بورن مر بما كنت أمر به. وكنت قد قرأت الكثير عن "حركة حرية الكلام" في جامعة كاليفورنيا في بيركلي عام ١٩٦٤—التي يعود فضلها إلى أنها ما دفع إلى بدء حركة الطلاب. ولو كنت قد قرأت عن جاكوبوس تنبروك، وهو أستاذ مؤيد بارز لتلك الحركة؟ فلو كنت قد قرأت أي شيء عنه، لكنت حتماً قد عرفت أنه أعمى، إذ أن أي وصف له كان يبزر هذه النقطة. ولم أكن أعلم أنه شارك في كتابة نص *Hope Deferred: Public Welfare and the Blind* حيث تحدث عن القيود على حياة العميان على أنها قضية حقوق مدنية.

ولم أعلم أن في نيويورك في الثلاثينات، وجدت مجموعة من المعوقين العمال والطالبين للعمل—كان العديد منهم قد أصيبوا على الأرجح بشلل من وباء نيويورك لعام ١٩١٦—أن إدارة تقدم العمل للرئيس روزافيلت اعتبرت أنه "لا يمكن توظيفهم". فتنظموا في "إتحاد المعوقين جسدياً" إحتجاجاً على هذا التمييز.

وتكلمت سيلفيا باسوف، إحدى المنظمات، عن تجاربها قبل الانضمام إلى المجموعة: "طبعاً، ودت أني لا أستطيع الحصول على وظيفة، ليس بسبب مرحلة الكساد، إنما وجدت أني لا أستطيع الحصول على وظيفة لأني كنت معوقة." فإلتحقت بمدرسة أعمال، وأصبحت متفوقة في الإملاء والطباعة. "في بساطتي، ظننت أني سأتخرج من كلية أعمال دريك وأنهم جميعاً سيتمسكون بي...طبعاً، لم يتمسك بي أحد... ولم يبدأ بعض الأشخاص...ذوو الوظائف... بعملهم وهو بنفس مستواي الجيد." ولم تتمكن من الحصول على عمل في القطاع الخاص، فشعرت بالذل من إرغامها على اللجوء إلى ورشة عمل خاضعة لإدارة مكتب بروكلن للأعمال الخيرية حيث جنت ٣,٥٠$ مقابل كل ألف ظرف وضعت عنواناً عليه بيدها. وعندما أخبرها عضو في الإتحاد بأنها تنظم الحصول على وظائف لذوي الإعاقات، قالت سيلفيا: "وظائف؟ أي شيء لأخرج من هنا."

وكان ما يجمع بين الأعضاء الأوائل للإتحاد أكثر من هويتهم كـ"معاقين"، فمعظمهم كانوا من العائلات اليهودية من الطبقة العاملة وأطفال المهاجرين الحديثين من أوروبا الشرقية والجنوبية. وهم إنحدروا ليس فحسب من خلفيات تولي إعتباراً كبيراً للتعليم ويكون فيها سلوك العمل قوياً، إنما تقاسموا أيضاً نظرة سياسية جذرية. وأتوا من عائلات ومجتمعات تسيطر عليها الإيديولوجية اليسارية، وكانوا معتادين على التفكير بحلول اجتماعية، بدلاً من فردية، للمشاكل، لكن على الرغم من أن يسار نيويورك—الذي تعود جذور الكثير منهم إليه—اعتنق مسألتهم، إلا أنه غالباً ما فعلوا ذلك بطريقة ألحقت وصمة العار بذوي الإعاقات. وعندما كان الإتحاد يحتج لإدارة تقدم الأعمال، وصفتهم *Daily Worker* بأنهم "يزحفون بأجسادهم الضعيفة ذهاباً وإياباً" أجسام "ملتوية من شلل الأطفال." وفي أوقات أخرى، تم وصفهم بـ"ضحايا الشلل" أو "أشخاص مشلولون عاجزون". واستغل عنوان رئيسي في *Daily Worker* مفهوم الرأفة عندما أعلن "شرطة لاغواردیا الشجاعة تضرب وتسجن عاطلين عن عمل مشلولين."

وبُعيد ما أصبح الرئيس الأمريكي روزفيلت بنفسه معوقاً، سألت صديقة أمه: "بما أنه مشلول، فهل سيصبح يوماً أي شيء آخر؟" وأمضى روزفيلت العقد التلي من حياته يجمع جواباً عن ذلك السؤال—أولاً من خلال محاولة "عدم جعل" نفسه مشلولاً؛ ولاحقاً من خلال تأليف قصة عن نفسه كرجل "تغلّب" على إعاقته عبر بطولة شخصية وإصرار. وعلى الرغم من ذلك، عندما تحدث روزفيلت عن ضرورة إنشاء فرص العمل للعاطلين على العمل بدلاً من مجرد إعطائهم المال، قائلاً: "الإحسان بالإغاثة هو أعطاء مهدم غير ملحوظ للروح البشرية... علينا أن نحمي أجسام العاطلين عن العمل ليس فقط من الفقر إنما احترامهم الذاتي"، تعكس كلماته التجربة التي مر بها في العثور على هويته الإجتماعية التي أخِذت منه في ظل إعاقته. وسخرية القدر هو أنه كان يتم إعتبار أنه لا يمكن توظيف هؤلاء العمال من قبل إدارة يرأسها رئيس يعتبر غير قابل للتوظيف بموجب أنظمة إدارته!

ولا شك أن العديد من هؤلاء الذين شكلوا "إتحاد المعوقين جسدياً" وجدوا عملاً أثناء الحرب العالمية الثانية عندما أدخل النقص في اليد العاملة الملايين من الناس في وظائف بأجور جيدة: روزي المبرشمة هي شخصية مألوفة، وكذلك هو تاريخ الهجرة الداخلية العظمى، بينما تنقل المزارعون بالعمالة ومتسأجرون المزارع من العرق الأسود من الجنوب إلى أعمال الصناعة العسكرية في ديترويت وأوكلاند وشيكاغو. كما دخل ذوو الإعاقات إلى القوة العاملة أثناء الحرب. وعثر روبرت هيوز على عمل في شركة ريثيون آنذاك: كان زملاؤه في العمل من النساء اللواتي لم يشاركن من قبل في القوة العاملة التي تتقاضى أجوراً، ومن الرجال في سن غير مقبول للخدمة العسكرية، ومن أشخاص معوقين آخرين. إلا أن التوظيف لم يكن يعني تقديم التسهيلات: حضر هيوز للعمل قبل نصف ساعة كي يتمكن من السير عبر موقف السيارات إذا لم يعثر على موقف قريب من الباب الأمامي. ولاحظ أن آخرين من زملائه المعوقين كانوا يفعلون نفس الشيء، فوضع ملاحظة في صندوق الاقتراحات في الشركة: لماذا لا يمكن حفظ بعض مواقف السيارات الأمامية للعمال المعوقين؟ (لم يتخذ أي إجراء لذلك.) وعلى الرغم من أن التوظيف أثناء الحرب أحضر نوعاً من المهلة من التمييز، إلا أنه أحضر معه معرفة أنه يمكن فقدان ما تم إكتسابه. وعندما إنتهت الحرب، هل كانت الأمور ستعود إلى ما كانت عليه من قبل؟

كان أحد زملاء هيوز في العمل لدى ريثيون رجلاً أبترت ساقه وكان أيضاً مدمناً على الكحول فتم صرفه من الخدمة بسبب عمله الرديء. ورأه هيوز راحقاً في الشارع في بوستن:

تحول شعره إلى البياض تقريباً وتدلى فوق أذنيه. كان بدون حلاقة ووسخاً. وكانت في يديه المفتوحتين أقلام عديد وإلى جانبه وعاء محطم يحتوي على نقود معدنية عديدة.... "أنظر جيداً يا ولدي لأن هذا ما يحدث لنا." في تلك الليلة، شاهد هيوز كابوساً بأنه بدون مال وجائع ويبحث عن زاوية في الشارع ليبيع أقلامه. "أمر بسرعة بكل زاوية يجلس رجل بساق واحدة ويحدق بي، لكن صوته يتبعني قائلاً "ستعود يا ولدي ستعود..""

لو لم أكن غارقة إلى هذا الحد في ازدراء أشخاص آخرين ذوي إعاقات، لربما تحدثت إلى هؤلاء حولي الذين كانوا في وضع مشابه: رجل شارك في حركة الحقوق المدنية المحلي ومصاب بشلل دماغي؛ وصبي إرتاد مدرستي الثانوية وكان أيضاً مصاباً بشلل الأطفال ويسير على عكازات خشبية، لكني شعرت حوله تقريباً بنفور جسدي.

يا للازدراء التي شعرته تجاه زميل صفي في المدرسة الثانوية! لا أذكر اسمه كما ولا أتذكر أي شيء عن وجهه. ما أتذكره هو تلك العكازات الخشبية القديمة الطراز والخارجة من جسمه. وغطت قطع من المطاط الرغوي أعلى العكازات الموضعة تحت ذراعيه، كما غطت المقابض. وغرق العرق من إبطيه ويديه في ذلك المطاط الرغوي، فترك رائحة متعفنة ووساخة غارقة لا يمكن غسلها. (كنت أعرف الرائحة والوساخة لأني كنت أملك يوماً مثل هذه العكازات.) أما عكازاتي، فكانت مصنوعة من الألومنيوم، وكنت قد استبدلت مقابض اليد الرمادية التي أتت معها بمقابض باهرة الألوان مصممة لدراجات الأطفال وتخرج منها الأشرطة الحمراء والوردية.

وكان من الهام جداً بالنسبة لي ألا يراني أحد مع الصبي الآخر المصاب بشلل الأطفال. (يمكنني أن أؤلف إسماً له، لكن دعني أترك فراغ الاسم الذي لا أتذكره.) وقد يعتقد الناس أننا كنا إثنين من المرفوضين من الحياة ومعلقين ببعضنا: أو أسوأ من ذلك، قد يعتقدون أن رفقتنا حلوة ومؤثرة ومحزنة، وفوق كل ذلك ملائمة.

وقلت لنفسي أن لدي سبب وجيه لإزدرائي. لم أكن أكرهه لأنه معوق، إنما كنت أكرهه لأن قميصه كان دائماً غير موضوع داخل بنطلونه. كنت أشهر بالإزدراء تجاهه لأن أمه كانت تحضر لأخذه من المدرسة بعد الإنتهاء—كان طفلاً مدللاً.

فأمي لم تكن تحضر لأخذي من المدرسة، بل كنت أسير مع الجميع من المرتقع على الطرف البعيد من وسط بروفيدانس عبر مركز التسوق للمشاة—مصمم لجعل تجربة التسوق هناك شبيهة بزيارة لمراكز التسوق في الضواحي والتي كانت تنشأ بسرعة في وورويك وكرانستون—لإنتظار باص "٥٢ هوب" الذي كان ينزلني في زاوية شارعي هوب ولارتش؛ وكنت أسير من هناك على مسافة شارعين ونصف صعوداً على التلة ومروراً بطريق كتالبا وشارع أيفي ثم أدع نفسي أدخل من الباب الخارجي لمنزلنا وأنا منهكة إلى حد أني كنت أرمي عكازاتي ومعطفي على أرض قاعة الجلوس وأنهار على الأريكة.

ولم تكن حقيبة الظهر قد أصبحت شائعة بعد—كانت مستعملة آنذاك فقط من قبل المتجولين والجيش—لذا كنت أحمل كتبي في حقيبة كتب مصنوعة من الجنفاص الأخضر كانت أمي قد استعملتها—شأنها شأن جميع زميلاتها في الحي—في رادكيلف. لكن طبعاً لم يكن بإمكاني حملها بالطريقة نفسه التي حملتها من خلال القبض بيدها على الحلقة واستقرار الحقيبة على ظهرها، إذ أن كلاً من يدي كانت تمسك بعكازة. ووضعت حلقة حقيبة الكتب فوق كتفي الأيسر، وبينما تأرجهت ذهاباً وإياباً وأنا أسير، كانت حقيبة الكتب تضرب أولاً عكازتي ثم جسدي مثل بندول محافظ على

لو لم أكن أخشى كثيراً الأشخاص المعوقين غيري، لربما سألتهم كيف تفاوضوا بشكل مدهش برحلتهم المحفوفة بالمخاطر إلى عالم العمل. وربما تمكنوا من إقتراح بعض الاستراتيجيات علي— أو ربما تمكنا على الأقل من الرثو. ولو لم أكن عازمة للغاية على حماية والديّ من آثار إعاقتي، لربما تكلمت معهم.

لكن، مثل الرجل لدى مصنع حلوى "سكول هاوس كاندي" والذي أحرجه وجودي لطلب العمل، وجدت أنا نفسي عاجزة عن التعبير عن جملة واضحة. وجاءت الكلمات لوصف ما كنت أمر به فردياً وعزلة—"تمييز"..."غير عادل"...—بالإضافة إلى شعور بالعار لم أستطع تسميته حتى لنفسي، وبالتالي لأي شخص آخر. والأفكار التي كانت لتصبح مكونة بكاملها مع حركة حقوق الإعاقة أصبحت الآن مشاعر وأحاسيس داخل جسدي، وكلمات مشتتة وغير مترابطة، وهبة من العار عبّرت عن نفسها من خلالي وبينما يتدلى رأسي من التذلل. وكنت أشعر بأن مشكلتي كانت إجتماعية لا فردية—لكن إذ قطعت نفسي عن معوقين آخرين، ولم أعلم أي شيء عما شهده من ذقبوا قبلي، كنت عاجزة عن ترجمة ذلك الاحساس المبهم إلى شيء آخر. وباختصار، كنت أفتقر لكل من تاريخ ومجتمع.

وبعد تجارب إضافية قليلة مثل تلك التي شهدتها لدى مصنع حلوى "سكول هاوس كاندي"، إتصلت بدائرة رود آيلاند لإعادة التأهيل المهني—المختصر بفوك ريهاب—لأنه كان يبدو لي أن عليهم أن يكونوا قادرين على مساعدتي. وشرح الرجل على الخط أنه يسره تقييمي لإعطائي مجموعة من الإختبارات، وتدريبي على عمل، لكنهم لا يستطيعون القيام بأي شيء لمساعدتي على العثور على عمل، ولا يعرفون أي أماكن تكون مستعدة للنظر في تعييني. وقال من جديد "التدريب، التدريب." وجعلتني الكلمة أفكر في الطاريق المدربة للسيد بوبر في كتاب كانت أمي قد تلته علينا عندما كنا أطفالاً؛ وجعلتني أفكر بدروس التعليم الخاص التي كانت منقسمة آنذاك إلى تلك لـ"المتخلفين عقلياً الذين يمكن تعليمهم" و"المتخلفين عقلياً الذين يمكن تدريبهم"، وكانت الإشارة إلى "الذين يمكن تدريبهم" أقل الإثنين. لم أكن متخلفة عقلياً ولم أكن بطريقاً ولم أكن أريد أن أكون "متدربة" على أي شيء. هل تجادلت معه؟ هل قلت: "ما الفائدة من تدريبنا إذا لن يوظفنا أحد؟" لا أعتقد أني فعلت ذلك. أعتقد أني تمتمت: "شكراً" ثم أقفلت الخط.

إنتهى الأمر بعودتي إلى رعاية الأطفال. وفي سن الثالثة عشرة، كنت قد شعرت بابتهاج بقائي بمفردي في منزل شخص شبه غريب: لألعب أسطواناته وأتطفل عبر أدراجه وأتصفح كتبهم، لكن في سن السادسة عشرة، لم أعد أبتهج لبقائي منفردة في منزل شخص راشد إذ فقدت إنجذابي إلى التطفل. كنت أكثر من مستعدة للتحرك قدماً.

© ٢٠٠٦ آن فينغر

الصورة إنتاج ماري غيتجنز

آن فينغر

آن فينغر مؤلفة للقصص الخيالية وغير الخيالية الإبداعية. ولقد تمت تسمية مجموعة قصصها القصيرة *Call Me Ahab* بالفائزة بـ"جائزة بريري سكونر" وسيتولى دار نشر جامعة نيبراسكا نشرها في خريف ٢٠٠٩. وهي مؤلفة لأربعة كتب أخرى منشورة: *Elegy for a Disease: A Personal and Cultural History of Polio* (٢٠٠٦)؛ ورواية *Bone Truth* (١٩٩٤)؛ و *Past Due: A Story of Disability, Pregnancy and Birth* (١٩٩٠)؛ ومجموعة قصص قصيرة، *Basic Skills* (١٩٨٨). كما تم نشر مؤلفاتها في ألمانيا من قبل دار النشر Fischer Verlag وفي المملكة المتحدة من قبل دار النشر The Women's Press. ولقد نشرت قصصها الصغيرة في *The Southern Review* و*Kenyon Review* و*Discourse* و*Ploughshares*، من بين مجلات أخرى.

لقد درّست السيدة فينغر الكتابة الإبداعية لدى جامعة وين ستيت في ديترويت في ميشيغان، وجامعة تكساس في أوستن، وكاتبة مقيمة لدى مبنى المرأة في لوس أنجلس، ومركز سان فرانسيسكو لموارد الإقامة المستقلة، وفي مدارس إبتدائية ومتوسطة وثانوية متعددة. كما نالت إقامات لدى مجموعات الفنانين يادو ودجراسي وسنتروم وهدجبروك. وفي مقيمة في أوكلاند في كاليفورنيا. لقد أصيبت السيدة فينغر بشلل الأطفال عندما كانت طفلة صغيرة، وكانت تسير بفضل عكازات بينما كانت تكبر، وهي تستعمل حالياً الكرسي المدولب.